جمع القلة والكثرة ومناسبتها للسياق (دراسة تحليلية في معاني القرآن الكريم)

ا . م . د . أحمد عامر سلطان [*]
م . ميثم محمد نوري [†]

ملخص البحث

عني البحث بجمع القلة والكثرة في القران الكريم ، وهو ما يطلق عليه بـ(حسن اختيار الجمع) حيث يأتي بصيغة جمع القلة والكثرة بما يناسب سياق الكلام ، وقد وظفت هذه الجموع في القرآن الكريم توظيفا ذا دلالة بلاغية فقد يجمع كلا الجمعين (القلة والكثرة) في تعبير وسياق وقصة واحدة لكن هناك قرائن ودلائل تفرق بين كلا التوظيفين .

Abstract

Collection of the few and many according to context – analytical study in the meaninge of the holly Qur'aan

This Research is concerned with the collection of few and many in the holly Qur'aan and This is what is called the "good choice of collection", which comes in the form of plural and plural, in accordance with the context of speech. God has used these masses to use a rhetorical meaning. He may gather both groups (the few and the plural) in the Qur'aan. In acontext, and a story, but there are clues and indications that differentiate between the two uses .

[*] . جامعة الموصل / كلية التربية للبنات .
[*] . الجامعة التقنية الشمالية / المعهد التقني / الموصل .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد ..

فقد منّ الله تعالى على هذه الأمة بهذا الكتاب العربي المبين المنزل على سيد الفصحاء وخاتم الأنبياء سيدنا محمد النبي الأمي صلى الله عليه وسلم سيد العرب والعجم ، ورسول خير الأمم .

عنيت الدراسات العربية بجموع القلة والكثرة وقد ورد في أدبياتهم التفاتهم في أوجه استعمال الجمع وبيان تناسقه مع سياق الكلام وبغية المتكلم، فقد كان العربي ينظر في الكلام طويلا يتفحصه وينقده وبالأخص ما كان عند الشعراء وهو ما سمي بالحوليات ، فقد كان الشاعر ينقد نفسه وغيره .

تناول بحثنا استقراء لأبنية جمع القلة والكثرة في القران الكريم ، وهو ما يطلق عليه بـ(حسن اختيار الجمع) حيث يأتي بصيغة جمع القلة والكثرة بما يناسب سياق الكلام، وقع اختيارنا على بعض من الآيات القرآنية التي وردت فيها صيغ القلة والكثرة بما يتناسب والسياق القرآني ، كما تناول الأحكام التي تترتب على الكلام بحسب نوع الجمع ، فمن حيث المعنى تختلف دلالة الكلام باختلاف الجمع المستعمل فيه وحسب دلالته على القلة والكثرة ، ولم يكن البحث في جميع الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم وإنما في بعض منها ، وبيان المعنى والقراءات القرآنية التي وردت فيها.

إن من يتتبع اللغة العربية يجد فيها من الظواهر اللغوية العديدة التي تعد سببا من أسباب اتساعها مما لا يكاد يحيط بها أحد مهما ادعى بسعة علمه وتضلُّعه فيها ، وصارت لها علما بين سائر أخواتها ، وكثير من هذه الصفات انفردت بها اللغة الكريمة التي جعلها الله سبحانه وتعالى لغة كتابه الكريم .

تمهيد

جمع التكسير نوعان ، جمع قلة وجمع كثرة ، ولكل منهما أوزانه التي يعرف بها ، وهذه الأوزان أعتمد في أكثرها على السماع ، وقد أفرد ابن سيدة بابا في كتاب المخصص ذكر فيه شواذ الجمع .

وعند السيوطي (جمع التكسير) على أربعة أضرب :

أحدها : ما لفظ واحده أكثر من لفظ جمعه ، نحو : كتاب وكتب . والثاني ما لفظ جمعه أكثر من لفظ واحده ، نحو : مسجد ومساجد . والثالث : ما واحده وجمعه سواء في العدة اللفظية لا في الحركات ، نحو :سَقْف وسُقُف .

والرابع : ما واحده وجمعه سواء في العدة اللفظية والحركات ، نحو : ناقة هجان ونوق هجان)[١]

وعند محمد خير الحلواني وهو من المحدثين (أن تقسيم العرب لجمع التكسير على أوزانها ليس بمستقيم لأنه يعترض بأمور:

أحدها : أن العرب قد تستخدم أحد الجمعين وتريد الآخر .

ثانيها : أن بعض الصرفيين يرى أن بعض جموع القلة قد يفيد الكثرة إذا اقترنت بـ (ال) التي تفيد الاستغراق ، أو إذا أضيفت على ما يدل على الكثرة .

ثالثها : أن العرب لم يراعو هذا التقسيم في كلامهم ، فكثيرا ما يجمعون بين القلة والكثرة في كلامهم.

رابعها: أن هناك أسماء ليس لها إلا نوع واحد من الجمع ، فقد يكون جمع قلة أو جمع كثرة) [٢]

دلالة أبنية جموع التكسير بين القلة والكثرة :

يذهب اللغويون إلى أن هناك أوزانا خاصة بجمع التكسير بعضها يدل على القلة ، والقسم الآخر يختص بالدلالة على الكثرة . وإن دلالة القلة العددية تنحصر بين الثلاثة إلى العشرة ، وأن الكثرة العددية تنحصر بين الثلاثة إلى ما لانهاية . بينما البعض الآخر يرى أن القلة تنحصر دلالتها العددية بين الثلاثة إلى العشرة والكثرة فدلالتها من العشرة إلى ما لانهاية .[٣]

نلاحظ أن هناك اختلافا واضحا بين الرأيين في تحديد الدلالة العددية للقلة والكثرة . يضاف إلى ذلك وجود ألفاظ تدل على الجمع وليس لها سوى صيغة واحدة ووزن واحد سواء دلت على قلة أم على كثرة ، مثال ذلك : قلم – أقلام ، رِجل – أرجُل . وقد فصل الكلام على هذا ابن يعيش بالقول (إن الجموع قد يقع بعضها موضع بعض ويُستغنى ببعضها عن بعض ألا ترى أنهم قالوا رَجُل ورِجال ، وسبع وسباع ولم يأتوا لهم ببناء قلة . وأقيس ذلك أن يستغنى بجمع الكثرة عن القلة لأن القليل داخل في الكثير)[٤]

وهكذا نرى أن المتغير دلالة البناء أو وزنه . فقد تعطي القلة وزن الكثرة والكثرة وزن القلة لضرب من البلاغة [٥] ، فمن ذلك: قوله تعالى (مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)(البقرة: ٢٦١) :وقوله تعالى (وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ)(يوسف: ٤٣)فالعدد واحد وهو (سبع) ولكنه استعمل معه جمع الكثرة مرة (سنابل) والقلة مرة أخرى (سنبلات) والسبب في ذلك (أن الآية الأولى سيقت في مقام التكثير ، وأما قوله(سبع سنبلات) فجاء بها على لفظ القلة لأن السبعة قليلة ولا مقتضى للتكثير)[٦]

المبحث الأول : جمع القلة .

وهو أحد أنواع جمع التكسير ويدل على العدد من الثلاثة إلى العشرة، ويُعرف جمع القلة بأن له أربعة أوزان لا يتعداها وهي : أفْعُل ، أفْعَال ،أفْعِلة ، فِعْلة [٧]

١- أفْعُلْ : وهي من الصيغ التي وردت في مواضع كثيرة من القرآن الكريم ويغلب على هذا الوزن أن يكون جمعا لكل اسم ثلاثي ويغلب عليه أن يكون صحيح العين ومثال ذلك (أنفس) فقد وردت في القرآن الكريم في مئة وثلاثة وخمسين موضعا قال تعالى :(وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ)(البقرة: ٢٣٥)أي : (ما في أنفسكم من الهوى وعلم ما في أنفسكم من العزم ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموا عليه)[٨] وقد يكون معتل العين مثال ذلك (أعين) وهو اسم معتل العين ووردت هذه اللفظة في القرآن الكريم في اثنين وعشرين موضعا لم تكن مختصة بغير الدلالة على العين الباصرة أو العناية التي يرعى الله بها عباده المسلمين [٩] ، فقد وردت في هذه الآية للدلالة على القلة فقد جاء بضمير قلة وهو ضمير الذكور في (أعينهم) وهذا جار على وفق قاعدة

التعبير في العربية والتي تفيد ان المذكر يؤتى به للدلالة على القلة [١٠] ، قال تعالى (قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ)(الأعراف) وسوف نفصل القول فيها في المبحث الثاني .

(١) أفْعَال : وهذه الصيغة تكاد تكون الغالبة على صيغ جموع القلة ، وقد وردت كثيرا في القرآن الكريم ، ومما يجمع على (أفعال) :

أ- ما لا يقاس جمعه على (أفْعُل) فقد يكون معتل الفاء نحو: وزر ، أوزار قال تعالى :(فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (محمد: ٤)

وقد أفادت في هذه الآية معنى الكثرة حيث أراد بالأوزار آلات الحرب وأثقالها التي لا تقوم إلا بها كالسلاح [١١]، قال الأعشى :

وأعددت للحرب أوزارها رماحا طوالا وخيلا ذكورا[١٢]

وهي في الأصل الأحمال فاستعيرت لما ذكر استعارة تصريحية ،[١٣]

ب – معتل العين نحو : باب ، أبواب (لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ) (الحجر: ٤٤) فقد دلّت (أبواب) على القلة لأنها وقعت تمييز للعدد (سبعة) و(العرب تستعمل الجمع تمييز لأقل العدد وهو من ثلاثة إلى عشرة)[١٤]

ج – ما كان مضعّفا نحو : حيٌّ ، أحياء . برٌّ، أبرار . أبٌّ ، آباء قال تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)(التوبة: ٢٣) فقد دلّت على القلة بدليل إضافتها الى ضمير ذكور الجماعة ، وجمع التكسير اذا أضيف الى جماعة الذكور دلّ على القلة .

د – ما لم يرد على وزن (فَعْل) بفتح الفاء وسكون العين وكان ثلاثيا صحيح الفاء والعين نحو: صَنَم ، أصنَام ، سَبْط ، أسْبَاط ، قال تعالى:(وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)(الأعراف: ١٦٠) فقد دلُت لفظة (أسْبَاط) على القلّة حيث وضع (أسباط) موضع قبيلة واختلف أهل العربية في وجه تأنيث "الاثنتي عشرة"، و"الأسباط" جمع مذكر. فقال بعض نحويي البصرة: أراد اثنتي عشرة فرقة، ثم أخبر أن الفرق "أسباط"، ولم يجعل العدد على "أسباط".[١٥]

٣ – أفْعِلَة : وهذا الجمع يكون في الاسم المذكر الرباعي والذي قبل آخره حرف مدٌ ، نحو : فؤاد ، أفئدة ، فقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم في إحدى عشرة آية ، قال تعالى: (وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ)(الأنعام: ١١٠) وقد استعملت للدلالة على القلة ، نقلب أفئدة هؤلاء وأبصارهم عن الإيمان وعن الآيات كما لم يؤمن أوائلهم من الأمم الخالية بما رأوا من الآيات .[١٦] وقرأ الأعمش : وتُقلّب أفئدتُهم وأبصارهم» على البناء للمفعول[١٧] ومما ورد في القرآن لفظة (أكِنَة) فقد تكررت في أربعة آيات ، قال تعالى: (وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ)(فصلت: ٥) أي أغطية متكاثفة { مّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ } من الإيمان بالله تعالى وحده وترك ما ألفينا عليه آباءنا و { مِنْ } على ما في «البحر» لابتداء الغاية { وَفِى ءاذانِنَا وَقْرٌ } أي صمم وأصله الثقل .[١٨] والأكنة : جمع كنان . وهو الغطاء و«الوقر» بالفتح – الثقل . وقريء : بالكسر . وهذه تمثيلات لنبوّ قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده ، كأنها في غلف وأغطية تمنع من نفوذه فيها[١٩] . ومن هذه الألفاظ (أذِلّة) فقد وردت أربع مرّات في القرآن الكريم ، قال تعالى: (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (آل عمران: ١٢٣){ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ } حال من مفعول نصركم وأذلة جمع قلة لذليل ، واختير على ذلائل ليدل على قلتهم مع ذلتهم ، والمراد بها عدم العدة لا الذلّ المعروف [٢٠] فقد

استعملت للدلالة على القلّة ، لقد ذكّرهم بما يوجب عليه التوكل مما يسّر لهم من الفتح يوم بدر وهم في حال قِلّة وذِلة ، وجاء بجمع القلّة ليدل على أنّهم على ذلّتهم كانوا قليلا [٢١] .

٤ – فِعْلَة : وهذا الوزن غير مطرد في شيء باتفاق [٢٢] ولعدم اطّراده فقد جعله ابن السراج من أسماء الجموع لا الجموع وما ورد منه يحفظ ولا يقاس عليه لان كل واحد جمع عليه قليل النظير [٢٣] وردت ألفاظ في القرآن الكريم جمعت على هذا البناء منها (فتية) فقد وردت مرّتين في القرآن الكريم قال تعالى:(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى)(الكهف: ١٣)فقد استعملت للدلالة على القلّة ، فقد كان عددهم محدود وقال المسلمون بأنهم كانوا سبعة وثامنهم كلبهم ، وإنما عرفوا ذلك بإخبار الرسول صلى الله عليه وسلم على لسان الوحي ، وعن سيّدنا علي رضي الله عنه وأرضاه بأنهم سبعة نفر .[٢٤] { إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ } استئناف مبني على السؤال من قبل المخاطب وفيه التفات من التكلم إلى الغيبة [٢٥] ومن هذه الألفاظ (أخوة) فقد وردت في القرآن الكريم سبع مرات ، قال تعالى:(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)(الحجرات: ١٠) أي إخوة في الدين وقرأ الجمهور : { بين أخويكم } مثنى ، لأن أقل من يقع بينهم الشقاق اثنان ، وقيل : المراد بالأخوين : الأوس والخزرج .[٢٦] (فأصلحوا بين أخويكم) يُقرأ بالياء والتاء والحجة لمن قرأه بالياء رده باللفظ لا على المعنى والحجة لمن قرأه بالتاء أنه ردّه على المعنى لا على اللفظ [٢٧]

المبحث الثاني: جمع الكثرة :

وهو أحد أنواع جمع التكسير وله ثلاثة وعشرون وزنًا، وهي ما يدل من الثلاثة إلى ما لا نهاية،[٢٨] ولجموع الكثرة أوزانٌ كثيرةٌ منها القياسي ومنها السماعي، وأشهر هذه الأوزان :

فُعْل: فيما دلّ على لون ، أو عيب ، أو حلية ، وهو قياسي في نوعين : ما كان وصفا لمؤنث على وزن : فَعْلاء ، أفعل . مثل : حمراء أحمر ، وما كان وصفا لمذكر على وزن : أفعل فعلاء .[٢٩]

فُعُل : وهو قياسي في نوعين :ما كان على وزن (فَعول) بمعنى فاعل، مثل : صبور وصابر : صُبر ، وما كان اسما رباعيا صحيح الآخر قبل آخره حرف مد ، ويشترط فيه عدم التضعيف إن كان

المد ألفا ، ولا فرق بين المذكر ، والمؤنث المعنوي " المجرد من تاء التأنيث "مثل : كتاب ، كتب (٣٠)

فُعَل :وهو قياسي في ثلاثة أنواع : ما كان على وزن (فُعْلة) . مثل : غرفة : غرف، وما كان وصفا على وزن (فُعْلى) . مثل : كُبرى : كُبر، وما كان اسما على وزن (فُعُلة) . مثل : جُمُعة : جُمَع .(٣١) فِعَل : ويجمع عليه (فِعْلة) اسما وصفة . مثل : عبرة : عبر . وخرج عن القاعدة جمعهم : حِلية على حِلى ، ولحية على لحى .(٣٢)

فُعْل : والغالب في قياسه أن يكون جمعا لما كان على (فاعل) و(فاعلة) وصفين صحيحي اللام إلا أن الواقع اللغوي يوقعنا على ألفاظ خرجت عن هذا الغالب فحكم الصرفيون عليها بالشذوذ ، من ذلك ما كان جمعا من المعتل العين إذا كان على (فاعل)، فقالوا (جُنّى) و (سُقّى) و(غُزّى) .(٣٣)

فُعَلَة : ثمّة خلاف في أصل هذا البناء وهو جمع قياسي في كل صفة معتلة اللام لمذكر عاقل ، على صيغة (فاعل) . مثل :هادٍ، هداة وأصلها هُدَيَة .(٣٤)

فَعَلَة : قياسي في الصفات المذكرة العاقلة على وزن (فاعل)، بشرط أن تكون صحيحة اللام .مثل : ساحر : سحرة .(٣٥)

فِعَلة : قياسي في نوع ، وسماعي في نوعين . قياسي في الاسم الصحيح اللام على وزن (فُعْل) . مثل : قُرط : قِرَطة ، ودُرْج : دِرَجة ، ودُب : دِبَبَة . سماعي في كل اسم على وزن " فِعْل " ، أو " فَعْل "، مثل : قِرْد : قِرَدَة .(٣٦)

فُعَل : قياسي لما كان على (فُعْلَة) اسما ، أو على (فُعْلَى) أنثى(أفْعَل) نحو (بُهَم) و(تُخَم)(٣٧) . فَعْلَى : قياسي فيما كان صفة على وزن فعيل للدلالة على الهلاك ، أو التوجع ، أو الآفة ، أو البلاء . مثل : مَرِيض : مَرْضَى . ويكون جمعا لأوصاف على غير فعيل ، وهو خروج عن القاعدة مثل : مَيت : مَوْتى (٣٨).

فِعْلَى : لم يرد على هذا البناء إلا لفظتان وهما (حِجْلى) و(ضِرْبى) .(٣٩)

فَعَالَى: والغالب في هذا البناء أن يكون جمعا للاسم على(فَعْلاء) أو(فِعْلى) أو(فَعْلى) ، نحو: (عَذَارى) و (طَهَارى) و(مَهَارى) و(يَتَامى).(٤٠)

فَعَالِيٌّ : يطّرد هذا الجمع لكل اسم ثلاثي ساكن الوسط في آخره ياء مشددة والتي ليست للنسب أو ما كانت الهمزة فيه للإلحاق وما ورد من الألفاظ جمعا مخالفا لذلك حكموا عليه بعدم الاطّراد وهي من المحفوظ الذي يوقف منه موقف السماع لمخالفتها القياس المعمول به ،نحو : (أناسِيٌّ) و(صَحَارِيٌّ) و(عَذَارِيٌّ) .[٤١]

فَعَائلْ : يطّرد هذا البناء في كل ما كان على أربعة أحرف وقبل آخره حرف مد ، سواء أكان مختوما بتاء التأنيث أو ألف التأنيث ، أو الألف المدودة ، أم مجردا منها ، نحو (سَحائب) و (صَعائد) و(عَجَائز) .[٤٢]

فُعَّال : جمع قياسي لأوصاف مذكرة صحيحة اللام على وزن (فاعل) ، فإن اعتلّت اللام فهو موصوف بالقلّة ، نحو : صائم : صُوّام .[٤٣]

فِعَال : صيغة لجمع شبه سماعي ، حيث يجمع عليها كثير من الأسماء ، والصفات المفردة ، أشهرها الأوزان الآتية : ما كان اسما ، أو وصفا على وزن (فَعْل) ، أو (فَعْلة) ، بشرط ألا تكون فاؤه ولا عينه ياء . مثل : عَظْم : عِظام . وما كان اسما صحيح اللام غير مضعف ، على وزن (فَعَل) ، وفَعَلة مثل : جَمَل : جِمَال . وما كان اسما على وزن (فِعْل) . مثل : ذئب : ذئاب . وما كان اسما على وزن (فُعْل) . مثل: رمح : رماح . وما كان وصفا صحيح الآخر على وزن (فَعيل) ، أو فعيلة بمعنى فاعل . مثل : كريم وكريمة : كرام . وما كان وصفا على وزن : (فَعْلان)، أو (فَعلى) ، أو (فَعلانة) ، و(فُعْلان) ، و(فُعلانة) .مثل : عَطشان ، وعطشى ، وعطشانة : عطاش .[٤٤]

فُعُول :جمع قياسي لكثير من الصيغ المفردة ، وأشهرها الآتي :ما كان اسما على وزن (فَعْل) غير واوي العين ، مثل : قلب : قلوب . وما كان اسما على وزن (فَعِل) ، مثل : كَبِد : كبود. وما كان اسما على وزن (فِعْل) ، و(فُعْل) ، بكسر الفاء وضمها ، وتسكين العين شريطة إلا تكون واوا . مثل : علم : علوم .[٤٥]

فَواعِل : الغالب المطرد في هذا البناء ان يكون جمعا لمذكر عاقل غير موصوف به على مثال (فاعِل) وكان ثانيه ألفا زائدة . من ذلك (فَوارِس) جمع (فارِس) و(هَوالِك) جمع (هالِك) .[٤٦]

فِعْلان : قياسي في الصيغ الآتية : ما كان اسما على وزن (فُعَال)، بضم الفاء ، مثل : غراب : غِربان . ما كان اسما على وزن (فُعَل) بضم الفاء ، وفتح العين .مثل : صُرَد : صِردان . وما كان اسما على وزن (فُعْل) ، بضم الفاء ، وتسكين العين . مثل : حوت : حيتان . وما كان اسما على وزن (فعل) معتل العين ،مثل : جار : جيران .(٤٧)

فُعَّلان : ويطرد في الأوزان المفردة الآتية : ما كان اسما على وزن (فَعيل) ، مثل : قضيب: قضبان. وما كان اسما صحيح العين على وزن (فَعَل) . مثل : حمل : حملان . وما كان اسما صحيح العين على وزن (فَعْل) .مثل : ظهر : ظهران.(٤٨)

فُعَلاء : تجمع عليه الأوزان الآتية :ما كان صفة لمذكر عاقل ، على وزن (فَعيل) بمعنى فاعل ويشترط صحة اللام ، وغير مضعّفة ، ولا واوي العين .مثل : كريم : كرماء. وما كان وصفا لمذكر عاقل على وزن (فاعل) ، بشرط أن تدل على معنى كالغريزة . مثل : عالم : علماء . وما كان وصفا لمذكر عاقل على وزن (فَعيل) بمعنى مُفاعل . مثل : جليس : جلساء. وخرج عن القاعدة : جَبَان : جُبَناء ، وسَمح : سُمَحاء ، وخليفة : خلفاء .لأنها ليست على (فَعيل) ، ولا (فاعل).(٤٩)

أفْعِلاء : قياسي في كل وصف على وزن (فعيل) إذا كان معتل اللام ، أو مضعّف . مثل : وفيّ : أوفياء . وخرج عن القاعدة : نصيب : أنصباء ، وصديق : أصدقاء . لعدم التضعيف ، واعتلال اللام .(٥٠)

لقد استعمل الله تبارك وتعالى هذه الجموع (القلّة والكثرة) استعمالاً لهُ دلالة بلاغية فقد يجمع كلا الجمعين (القلّة والكثرة) في تعبير وسياق وقصة واحدة لكن هناك قرائن ودلائل تفرق بين الاستعمالين .(٥١)

إن مما يثبت دلالة صيغة (أفْعَال)على القلة جواز عودة الضمير علية بلفظ الإفراد نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾(٥٢)

وقد ذكر في قوله تعالى مما في بطونه ، ولا يوجد ضعف في ذلك من هذه الجهة ، لأن التأنيث والتذكير باعتبار وجهين ، وأعاد الضمير مذكراً مراعاة للجنس ، لأنه إذا صح وقوع المفرد الدال على الجنس مقام جمعه جاز عوده عليه مذكراً كما في قولهم : هو أحسن الفتيان وأنبله ، لأنه يصح

هو أحسن فتى ، وإن كان هذا لا يقاس عند سيبويه ، وإنما يقتصر على ما قالته العرب فيه ، وقيل : جمع التكسير في الذي لا يعقل يعامل معاملة الجماعة ، ومعاملة الجمع ، فيعود الضمير عليه مفرداً ، كما في قوله :مثل الفراخ نبقت حواصله ... فقد أفرد على تقدير المذكور كما يفرد اسم الإشارة بعد الجمع كما في قول رؤبة بن العجاج في وصف العير:

فيها خطوط من سواد وبلق.. كأنه في الجلد توليع البهق[٥٣]

فكأنه قدر بـ(كأن) المذكور . قال المبرد : وهذا سائغ في القرآن الكريم كما في قوله تعالى : {كلا إنها تذكرة ، فمن شاء ذكره } (عبس ١١)أي ذكر هذا الشيء ، وقوله تعالى : ﴿ فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي ﴾ (الانعام٧٨)أي هذا الشيء الطالع ، و هذا لا يكون إلا في التأنيث المجازي ، لا يجوز جاريتك ذهب . وقالت فرقة : الضمير عائد على البعض ، إذ الذكور لا ألبان لها ، فكأنّ العبرة إنما هي في بعض الأنعام . قال الكسائي : أي في بطون ما ذكرنا[٥٤]

وضمير { بُطُونِهِ } للإنعام ، وهو اسم لجمع ، واسم الجمع يجوز فيه التذكير والإفراد باعتبار لفظه ويجوز فيه التأنيث والجمع باعتبار معناه ، ولذا جاء بكلا الوجهين في القرآن الكريم وفي كلام العرب تقول : هذا ثوب أكياس . على أن بعض العرب قد يستعمله فيه مجازاً كالأنعام بمعنى النعم [٥٥]، كما في قول الشاعر :

تركنا الخيل والنعم المفدي ... وقلنا للنساء بها أقيمي[٥٦]

و{ مِّمَّا فِي بُطُونِهِ } : الضمير عائد على الجِنْس ، وعلى المذكور ، وهذا كثير[٥٧] فالأنعام على زنة أفعال وهو من جمع القلة وقد عاد الضمير عليه بالإفراد[٥٨] .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾[٥٩] ، وقرأ المدنيان والشامي ويعقوب بالتاء الفوقية وفتح الفاء[٦٠] وقرأ نافع ومحبوب عن أبي عمرو تغفر بالتاء مبنيًّا للمفعول { لكم خطيئاتكم } جمع سلامة ، وقرأ أبو عمرو { نغفر } بالنون لكم خطاياكم على وزن قضاياكم ، وقرأ ابن عامر تغفر بتاء مضمومة مبنيًّا للمفعول لكم خطيئتكم على التوحيد مهموزاً[٦١] وبين القطب فائدة الاختلاف بين ما

هناك وبين ما هنا على القراءة المشهورة بأنها الإشارة إلى أن هذه الذنوب سواء كانت قليلة أو كثيرة فهي مغفور بعد الاتيان بالمأمور به ، وطرح الواو هنا من قوله سبحانه وتعالى : { سَنَزِيدُ المحسنين } إشارة إلى أن هذه الزيادة تفضل محض ليس في مقابلة ما أمروا به كما قيل ،وقرأ أبو عمرو { لَكُمْ خطاياكُم }[٦٢] فقد اسند الفعل(قيل) للمجهول ولم يسمِ الفاعل صراحة مما جعله مناسباً أن يقرنه بلفظ دال على القلة وهو(خَطِيئَاتِكُمْ) ، واما في قوله تعالى (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ)[٦٣]
فقد قرأ الحجدري والاعمش وقتادة والحسن وعاصم (خطيئتُكُم) بالإفراد والجمع ، وقرأ ألأعمش (خطيئَتَكُم) بالإفراد والنصب ، وقرأ أبو حيوة والحسن (خطيئاتُكُم)بالجمع السالم والرفع على انه مفعول مالم يُسمَ فاعله ، وقرأ الاعمش والحسن (خطيئاتِكم) بالجمع السالم والنصب[٦٤] فقد ذكر الفاعل صراحة في (قُلنا) دالا على نفسِه تبارك وتعالى فناسب هذا الإقران مع الإخبار(خَطَايَاكُمْ) وهو الدال على جمع الكثرة وهو ما يليق بكرم الله سبحانه وتعالى وسعة مغفرته للخطايا الكثيرة [٦٥] . أما عند الخليل فقدمت الهمزة على الياء ثم فُعِل بها ما ذُكِر، و عند سيبويه فالخطايا أصلها خطاييء بياء بعد ألف ثم همزة فأبدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الألف واجتمعت همزتان وأبدلت الثانية ياء ثم قلبت ألفاً ، وكانت الهمزة بين ألفين فأُبدلت ياء[٦٦] ، وقرأ الجحدري وقتادة { تَغْفِرْ } بضم التاء ، وأفرد الخطيئة وقرأ الجمهور بإظهار الراء من { يَغْفِرُ } عند اللام وأدغمها قوم، وقرأ نافع { يَغْفِرُ } بالياء وابن عامر بالتاء على البناء للمجهول ، وقرأ الباقون بالنون والبناء للمعلوم وهو الجاري على نظام ما قبله وما بعده ولم يقرأ أحد من السبعة إلا بلفظ{ خطاياكم } وأمالها الكسائي، وهو ضعيف[٦٧] .

والخطيئة (فَعيلة) بمعنى مَفعُولة لأنها مخطوء بها أي مسلوك بها مسلك الخطأ أشاروا إلى أنها فعل يحق أن لا يقع فيه فاعله إلا خطأ فهي الذنب والمعصية ، والخطايا جمع خطيئة ولامها مهموزة فقياس جمعها (خطائِيء) بهمزتين بوزن فعائل فلما اجتمعت الهمزتان قلبت الثانية ياء لأن قبلها كسرة أو لأن في الهمزتين ثِقلاً فخففوا الأخيرة منهما ياء ثم قلبوها ألفاً إما لاجتماع ثقل الياء مع ثقل

صيغة الجمع وإما لأنه لما أشبه جائي استحق التخفيف ولكنهم لم يعاملوه معاملة جائي لأن همزة جائي زائدة وهمزة خطائيء أصلية ففروا بتخفيفه إلى قلب الياء ألفاً كما فعلوا في يتامى ووجدوا له في الأسماء الصحيحة نظيراً وهو

(طَهارَى) جمع طَاهرة[٦٨] .

قال تعالى﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾[٦٩] وفي قوله { سحروا أعين الناس } دلالة على أنّ السحر لا يقلب عيناً وإنما هو من باب التخيل[٧٠] وإنما هم سحروا العقول ، و{أعين} هو مجاز عقلي لأن الأعين آلة إيصال التخييلات إلى الإدراك ، و لو قيل : سحروا الناسَ لأفاد ذلك ، ولكن تفوت ملاحظة التنبيه على أن السحر إنما هو تخيلات مرئية ، ومثل هذه الزيادة زيادة الأعين كما في قول الأعشى :

كذَلكَ فافْعَلْ ما حيَيتَ إذا شَتَوْ.... وَأقْدِم إذَا مَا أعْيُنُ النّاس تَفرقَ [٧١] أي إذا ما الناس تفرَقوا فَرَقا يحصل من رؤية الأخطار المخيفة[٧٢] وأما(أعيُن) فهو على زنة(أفعُل) لجمع القلة فاستعملها في إرادة حاسة البصر { سحروا أعين الناس } يعني أنهم صرفوا أعين الناس عن إدراك حقيقة ما فعلوه من التخييل والتمويه وهذا هو السحر وهذا هو الفرق بين السحر الذي هومن فعل البشر وبين معجزة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام التي هي من عند الله جل جلاله وذلك لأن السحر قلب للأعين وصرفها عن إدراك ذلك الشيء والمعجزة هي قلب الشيء نفسه عن حقيقته)[٧٣] .

إن من أسلوب العرب في كلامها (التبادل) أو (الموازنة بين القلة والكثرة) وهذا يتضح جليا في (العدد) فحيثما يرد العدد القليل يذكر معه المعدود بصيغة الجمع نحو قوله تعالى: ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾[٧٤] ، فقد فسر ابن عباس (رضي الله عنهما) وعكرمة ومجاهد وقتادة وأبو عبيدة ،

بأنهما متتابعات جمع حاسم كما في كلمة شهود جمع شاهد من حسمت الدابة إذا تابعت كيّها على الداء كرة بعد أخرى حتى ينحسم فهي مجاز مرسل من استعمال المقيد وهو الحسم الذي هو تتابع الكي في مطلق التتابع[٧٥] .

ومن أسلوب العرب في كلامها (التبادل) أو (الموازنة بين القلة والكثرة) قال تعالى:(وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ) [٧٥]فالظاهر في الكلام أن التمييز المحذوف في قوله : { ثمانية } أملاك، أي ثمانية أشخاص من الملائكة؛ وعن الحسن ، الله أعلم كم هم ، أثمانية صفوف أم ثمانية أشخاص؟ وعن الضحاك : ثمانية صفوف صفحاً[٧٦] و(حسوم) يمكن أن يكون جمعا لكلمة حاسم مثل قُعود : يعني قاعد ، شاهد جمعها شهود ، غُلِّب فيه الأيام على الليالي لأنها أكثر عدداً إذ هي ثمانية أيام وهذا له عدة معان أحدها أن يكون المعنى :تتابع بعضها ببعض ، أي لا يوجد فصل بينها كما يقال : صيام شهرين متتابعين ،كما في قول عبد العزيز بن زرار الكلبي : ففرَّق بينَ بينِهمُ زمانٌ ... تتابع فيه أعوام حُسُومٌ [٧٧] فـ(التبادل) أو(الموازنة بين القلة والكثرة) هو من سنن العرب في كلامها ومع العدد الكثير يذكر المعدود بصيغة المفرد نحو قوله تعالى :(إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ)[٧٨] فقد ذكر المعدود بصيغة المفرد مع العدد الكثير ،بينما ذكر المعدود بصيغة الجمع مع العدد القليل كما في الآية التي سبقت ، كما قد يظهر التعادل في غير العدد ، فمع الجمع الدال على الكثرة مثل (الجذوع) قد يعود عليه الضمير بالإفراد كما في قولهم (الجذوع انكسرت) .ومع الجمع الدال على القلة مثل (الاجذاع) وهو على زنة أفعال يعود عليه الضمير بالجمع فيقولون (الاجذاع انكسرن)[٨٠]

ومثله قول الشاعر حسان بن ثابت:

لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى.. وأسيافنا يقطرن من نجدة دما[٨١]

فـ(الجفنات) جمع دال على القلة وللتعادل بين القلة والكثرة أعاد عليها الضمير الدال على الجمع في قوله (يلمعن) ولم يقل (الجفنات تلمع) ، ومثله(أسيافنا)على زنة (أفعال) وهو يدل على القلة فقد أعاد عليه ضمير الجمع في (يقطرن) ولم يقل (الأسياف تقطر) بالإفراد وهو بهذا يفضل على قول النابغة في قوله :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب[٨٢]

فبنى النابغة كلامه على خلاف سنن العرب في قوله (سيوفهم بهن فلول) ولو اتبع التعادل لوجب أن يقول (سيوفهم بها فلول) لأن السيوف جمع كثرة فهي على ضوء ما سبق مما ذكرناه من قولنا

(الجذوع انكسرت) ولم يقال (انكسرن) ، كما أن من سنن (التبادل والموازنة بين طرفي الكلام) يتبين لنا الوجه البلاغي في الفرق بين (سبعة ابحر) و(سبعة بحور) نحو قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[٨٣] وقرأ زيد بن علي : كلمة الله ، على التوحيد ، وقرأ الجمهور: { ما نفدت كلمات الله } ، بالألف والتاء .وقرأ الحسن : ما نفد بغير تاء ، كلام الله ، وقالت فرقة : المراد بكلمات الله : معلوماته . قال أبو علي : المراد بالكلمات ، والله أعلم : ما في المعدوم دون ما خرج من العدم إلى الوجود . وقال الزمخشري : فإن قلت : الكلمات جمع قلة ، والمواضع مواضع التكثير لا التقليل ، فهلا قيل : كلام الله؟ قلت : معناه أن كلماته لا تفي بكتبها البحار ، فكيف بكلمة؟[٤] { مَّا نَفِدَتْ كلماتُ الله } بكتبها بتلك الأقلام .

بذلك المداد وإيثار جمع القلة للإشعار بأن ذلك لا يفي بالقليل فكيف بالكثير[٨٤] وعلى تسليم أن (كلمات) جمع قلة ، والعام مستغرق لجميع الأفراد ، فجموع القلة إذا تعرفت بالألف واللام غير العهدية ، أو أضيفت لعمت وصارت لا تخص القليل[٨٥] يتبين لنا بوضوح الوجه البلاغي في الفرق بين لو صارت مدادا لكلماته ولو كثرت ، فتحقق الاتساق في قوله (سبعة ابحر) ولو قيل سبعة بحور بالجمع الدال على الكثرة (سبعة ابحر) و(سبعة بحور) ، فلتحقيق التعادل بين القلة والكثرة جاء بـ(ابحر) وهو جمع للقلة ليتناسق مع كلمة (سبعة) المستعملة عند العرب في الغالب للدلالة على الكثرة غير المحددة ولا المعدودة ، وهذا المعنى هو المراد من الآية وهو المناسب لصفة علمه سبحانه وتعالى الواسع والذي لا تحيط به البحار لو صارت مداد لكلماته ولو كثرت فتحقق التناسق في قوله(سبعة ابحر) ولو قيل(سبعة بحور) بالجمع الدال على الكثرة لتعين من لعدد(سبعة) مفهومه المحدود ولا نتقي المعنى الدقيق الذي تشير اليه الآية الكريمة ثم ان من تمام المعنى في بيان سعة علمه سبحانه وتعالى قوله (ما نفذت كلمات الله) فجاء بجمع المؤنث الصحيح وهو يدل على القلة ولم يقل (ما نفد كلام الله) للإيذان بان كل ما ذكر من البحار الكثيرة لو صارت مدادا لا تفي بان تحيط بالقليل من كلمات الله ، فكيف بكلام الله الواسع وهذا من دقائق وجوه البلاغة في القران الكريم.

قال تعالى ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾[٨٦] وقد حذف المميز في قول الله تبارك وتعالى : سبع شداد أي : سبع سنين شداد ، لدلالة قوله: سبع سنين عليه وأسند الأكل الذي في قوله : أكلن على سبيل المجاز من حيث أنه يؤكل فيهم[٨٧] حيث أراد بالعدد مفهومه المحدد فجاء معه المعدود ب (السنين) وهو جمع دال على الكثرة ،ولو قال (سبع سنوات) بجمع القلة لانتفى المعنى المراد ولكان في العدد الاحتمال إلى غير مفهومه المحدد .

. كما أن من صور التناسق في آيات القران الكريم استعمال لفظة (أعين) و(عيون).

قال تعالى ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾[٨٨] وهذا التركيب يحتمل أن يكون للمتقين جميعهم جنات وعيون ، أو أن لكل واحد منهم جنات وعيون ، أو جنة وعين لكل واحد منهم[٨٩] والعيون : جمع عين ، فقد وردت (العيون) بصيغة الجمع الدال على الكثرة للماء للدلالة على كثرته ، وفي قوله تعالى ﴿ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٣٤)﴾[٩٠] عطف عليها البنين لأنهم نعمة عظيمة بأنها أنسهم وعونهم على أسباب الحياة وبقاء ذكرهم بعدهم وكثرة أمتهم ، وعطف الجنات والعيون لأنها بها رفاهية حالهم واتساع رزقهم وعيش أنعامهم .[٩١]

قال تعالى ﴿ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾[٩٢] والمشهور أن كلمة العين هي لفظ مشترك ، والظاهر أنها حقيقة في العين الباصرة ، ولكن في غيرها مجاز ولكنه مجاز مشهور في غير الماء غالبا، وعيوناً انتصب على التمييز، الأرض كلها جُعِلت كأنها عيون تتفجر، وهو أبلغ من: وفجرنا عيون الأرض ،والذي منع مجيء التمييز من المفعول أعربه حالاً، ويكون حالاً مقدرة، وبعضهم أعربه مفعولاً ثانيا، كأنه ضمن كلمة{وفجرنا}أي: صيرنا بالتفجير ،(الأرض عيونا)[٩٣].

لقد استعمل العيون وهو جمع دال على الكثرة في الآيات السابقة وكلها تدل على ينابيع الماء فناسب لفظ (العيون) للدلالة على الكثرة وتذكيرا بنعمة الله تعالى الواسعة.

واما(أعْيُن) والتي هي على زنة (أفْعُل) لجمع القلة فاستعملها في إرادة حاسة البصر.

قال تعالى ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٩٤] فلذة الأعين في رؤية الأشكال الحسنة والألوان التي تنشرح لها النفس ،{وتلذ الأعين}

التقدير، وتلذُّهُ الأعين. والضمير المحذوف هو رابط الصلة، بالموصول فلذة الأعين وسيلة للذة النفوس فعطف { وتلَذّ الأعين}على{ ما تشتهيه الأنفس}عطف ما بينه وبين المعطوف عليه عمومٌ وخصوص. فقد تبصر الأعين ما لم تسبق للنفس شهوة رؤيتِه أو ما اشتهت النفس طعمه أو سمعه فيؤتى به في صور جميلة إكمالاً للنعمة، وقد تشتهي الأنفس ما لا تراه الأعين كالمحادثة مع الأصحاب وسماع الأصوات الحسنة والموسيقى[٩٥] قال تعالى: (وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ)(المائدة: ٨٣)والمراد بالمعنى أن تمتلئ بالدمع ، فاستُعير له عن الامتلاءِ بالفيضُ الذي هو الانصبابُ، مبالغةً ، أو جُعلت أعينُهم كأنها تفيض بأنفسها من فرط البكاء{مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الحق } و(من) الأولى هي لابتداء الغاية ، والثانية هي لتبيين الموصول ، أي ابتدأ الفيض ونشأ من معرفة الحق وحصل بسببه ومن أجله ، ويحتمل أن تكون الثانية تبعيضية ، لأن الذي عرفوه هو بعضُ الحق ، وهو الذي أبكاهم فما هو ظنك بهم لو أنهم عرفوا ذلك كله ، وقرأوا القرآن ، وأحاطوا بالسنة؟ وقرئت (تُرى أعينُهم) على صيغة الفعل المبني للمفعول[٩٦] { ترى} وهي من رؤية العين وأسندت(الفيض) إلى الأعين وإن كانت حقيقة للدموع كما في قول الشاعر : ففاضت دموع العين مني صبابة ... إقامة للمسبب مقام السبب ، لأن الفيض هي مسبب عن الامتلاء، فالأصل أن ترى أعينهم تمتلئ من الدموع حتى تفيض ، لأن الفيض على جوانب الإناء ناشئ عن الامتلاء ، **كما في قول أحدهم** : قوارض تأتيني ويحتقرونها ... وقد يملأ الماء الإناء فيفعم.[٩٧] فأتى بـ(أعين) وهي على زنة (افعل) لجمع القلة فاستعملها بالآيات التي سبقت للدلالة على حاسة البصر وهو المناسب لهذا المعنى وذلك أن للمرء عينين بعكس الينابيع وتدفق الماء منها.[٩٨] قال تعالى﴿ تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾[٩٩] فمهما تكاثر الناس فإن أبصارهم محدودة ، ففي هذه المواضع الأربع التي سبقت في الآيات الكريمات اتى بجمع القلة للدلالة على الأبصار وهو المناسب لهذا المعنى وذلك أن للمرء عينين.

الخاتمة

لقد حوى القرآن الكريم من ألفاظ جمع القلة والكثرة وتنوع استعمال القرآن الكريم لهذه الألفاظ من حيث الدلالة على القلة والكثرة فقد استعملت ألفاظ القلة للدلالة على الكثرة وقد كان هذا الاستعمال مقصودا اقتضاه المعنى الذي وجهت إليه اللفظة ولا يتم تحديد دلالة البناء إذا جرد من السياقين اللغوي والحالي وإنما يتم التحديد وفقا لما تنتظم به الأبنية من أساليب وقرائن ، وهكذا نرى أن المتغير دلالة البناء أو وزنه فقد تعطي القلة وزن الكثرة والكثرة وزن القلة ويمكن القول أنه لا يتم تحديد دلالة البناء إذا جرد من السياقين اللغوي والحالي وإنما يتم التحديد وفقا لما تنتظم به الأبنية من أساليب وقرائن .

المصادر والمراجع

١ – أدب الكاتب : عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تحقيق علي ناعور، دار الكتب العلمية، ط١ ، بيروت ، ١٩٨٨ .

٢ – إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ، محمد بن محمد ابي السعود ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٩٨٤ .

٣ – الاشباه والنظائر في النحو : جلال الدين السيوطي ، تقديم فائز ترميني ، ط١ ،١٩٨٤.

٤ – الأصول في اللغة : محمد بن سهل السراج ، تحقيق عبد الحسين الفتيلي ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ،١٩٩٦ .

٥ – البحر المحيط :أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيان ، تحقيق علي معوض ، ط١ ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٣.

٦ – البدور الزاهرة في القرآت العشر المتواترة :عبدالفتاح القاضي ، مكتبة أنس بن مالك ،مكة المكرمة ،ط١ ،٢٠٠٢ .

٧ – التحرير والتنوير : محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر، ط١ ، تونس ١٩٨٤.

٨ – التذكرة في القراءات الثمان : طاهر بن عبد المنعم الحلبي ، تحقيق ايمن رشدي سويد ، ط١ ،جدة ،١٩٩١ .

٩ – التكملة : أبو علي الفارسي ، تحقيق د. حسن شاذلي ، الرياض ،١٩٨١ .
١٠ – التيسير في القراءات السبع : أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨٤ .
١١– جامع البيان في تأويل القران : محمد بن جرير الطبري ، تحقيق احمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، مجمع الملك فهد ،٢٠٠٠ .
١٢ – الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله شمس الدين القرطبي ، تحقيق احمد البردوني ، ط٢ ، دارالكتب المصرية ، ١٩٦٤ .
١٣ – الجمل : ابي القاسم الزجاجي ، تحقيق علي توفيق الحمد ، مؤسسة الرسالة ، مجمع الملك فهد ،ط٤ ، ١٩٨٨ .
١٤ – جموع التصحيح والتكسير : عبد النعم سيد عبدالعال ، القاهرة مكتبة الخانجي ، ١٩٧٧ .
١٥ – الجواهر الحسان في تفسير القران : أبو زيد عبد الرحمن الثعالبي ، دار احياء التراث العربي ، ط١ ، بيروت ١٩٩٨.
١٦ – الحجة للقراء السبعة: ابي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي ، تحقيق بدر الدين قهوجي، ط٢ ، دار المأمون للتراث ، دمشق ١٩٩٣.
١٧ – الحجة في القراءات السبعة :الحسين بن احمد بن خالويه ، تحقيق عبد العال سالم مكرم ، ط١ دار الشروق ، بيروت ٢٠٠١ .
١٨ – خزانة الادب ولب لباب العرب :عبد القادر بن عمر البغدادي ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط٤ ، مكتبة الخانجي ١٩٩٧.
١٩ – دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته: احمد مختارعمر ،عالم الكتب ، ط١، مصر ٢٠٠١
٢٠ – دراسات في اللغة : إبراهيم السامرائي ، مطبعة العاني ،بغداد ، ١٩٦١ .
٢١ – درة التنزيل وغرة التاويل : محمد بن عبدالله الخطيب الاسكافي ، تحقيق محمد ايدين ، جامعة ام القرى ، ط١، مكة المكرمة ٢٠٠١ .
٢٢ – ديوان الاعشى الكبير : ميمون بن قيس ، شرح محمد احمد قاسم ، المكتب الإسلامي ،

بيروت ، ط١ ، ١٩٩٤ .
٢٣ – ديوان جرير : جرير بن عطية الخطفي ، تحقيق نعمان محمد أمين ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٨٦ .
٢٤ – ديوان حسان بن ثابت : حسان بن ثابت ، تحقيق عبده علي مهنا ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٤.
٢٥ – ديوان الهذليين :الشعراء الهذليين ، تحقيق احمد الزين ، ط١، دار الكتب المصرية ١٩٦٥
٢٦ – ديوان النابغة الذبياني : النابغة الذبياني ، تحقيق عباس عبدالساتر ، ط٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٦ .
٢٧ – روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني : شهاب الدين محمود الالوسي ، تحقيق علي عطية ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت١٩٩٥ .
٢٨ – شذا العرف في فن الصرف : احمد بن محمد الحملاوي ، تحقيق نصر الله عبدالرحمن ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ٢٠٠٩ .
. ٢٩ – شرح ديوان رؤبة بن العجاج : رؤبة بن العجاج ، مجمع اللغة العربية ، مصر ، ط١ ،٢٠١١.
٣٠– شرح المفصل : موفق الدين يعيش بن علي ، تقديم أميل بديع يعقوب ، عالم الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت ، ٢٠٠١ .
٣١ – غرائب القرآن ورغائب الفرقان :نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٩٩٦ .
٣٢ – فتح القدير : محمد بن علي الشوكاني ، ط١ ، دار الكلم الطيب ، بيروت ، ١٩٩٤ .
٣٣ – الكتاب : سيبويه ، تحقيق عبدالسلام محمدهارون ، ط٢ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ،١٩٨٢
٣٤ – الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل : محمود بن عمرو الزمخشري ، ط٣ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٨٧ .
٣٥ – لسان العرب :أبو الفضل جمال الدين بن منظور الافريقي ، ط٣ ، دار صادر للطباعة،

بيروت ،١٩٩٤.
٣٦ – المخصص : علي بن إسماعيل بن سيدة ، تحقيق خليل إبراهيم ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٩٩٦ .
٣٧ – المقتضب : محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، ط١ ، القاهرة ١٩٩٤ .
٣٨ – معاني الأبنية في العربية : فاضل إبراهيم السامرائي ، ط٢ ، دارعمار ، عمان ٢٠٠٧ .
٣٩ – معجم القراءات :عبد اللطيف الخطيب ، دار سعد الدين للطباعة والنشر ،القاهرة ٢٠٠٢
٤٠ – المهذب في علم التصريف : هاشم طه شلاش ، صلاح الفرطوسي ، عبد الجليل عبيد ، جامعة بغداد ١٩٨٩ .
٤١ – النحو الوافي : عباس حسن ، مطبعة دار المعارف ، ط٣ ، القاهرة١٩٦٨ .
٤٢ – النشر في القراءات العشر: شمس الدين محمد بن محمد الدمشقي، المطبعة التجارية الكبرى ، القاهرة ٢٠٠٩.
٤٣ – همع الهوامع : عبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي ، تحقيق احمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت١٩٩٨ .
٤٤ – الواضح في النحو والصرف : محمد خير الحلواني ، دار المأمون للتراث ، دمشق ١٩٧٨ .

هوامش البحث :

١ – الاشباه والنظائر في النحو : ١٥٣/٢
٢ – الواضح في النحو والصرف : ١١٦/١١٤ .
٣ – الجمل : ٣٧٢.
٤ – شرح المفصل : ١١/٥
٥– معاني الأبنية في العربية : ١٣٨ – ١٣٩
٦– المصدر السابق : ١٣٩ .
٧– دراسات لغوية في القرآن الكريم : ١٩٥
٨– الكشاف : ٢١٠/١

٩- دراسات في اللغة : ٩١
١٠- التعبير القرآني : ١٥٩
١١- البحر المحيط : ٦٥/١٠
١٢- ديوان ألاعشى : ٩٩
١٣- الالوسي : ١٩ / ١٠٣
١٤- المهذب في علم التصريف : ١٨٤
١٥- تفسير الطبري : ١٧٥/١٣
١٦- البحر المحيط : ٢٣٢/٥
١٧- الكشاف : ١٥٩/٢
١٨- الآلوسي : ١٥٤/١٨
١٩- الكشاف : ١٤٣/٦
٢٠- الالوسي : ١٩٥/٣
٢١- الكشاف : ٣٢٠/١
٢٢- همع الهوامع : ٣١١/٣
٢٣- الأصول في النحو : ١٨/٣
٢٤- التعبير القرآني : ١٥٩
٢٥- الالوسي :١٦٩/١١
٢٦- البحر المحيط : ١٠ / ١١٠
٢٧- الحجة في القراءات السبعة : ٣٣٠
٢٨- دراسات لغوية في القرآن الكريم : ١٩٥
٢٩- الكتاب :٧٩/٣
٣٠- همع الهوامع :٣١٣/٣
٣١- المخصص:٢١/١
٣٢- جموع التصحيح والتكسير:٤٥
٣٣- الكتاب :١٠٧/٤
٣٤- همع الهوامع : ٣١/٣
٣٥- الكتاب :١٠٧/٤

٣٦- همع الهوامع : ٣١٩/٣
٣٧- المخصص :٢١/١
٣٨- الكتاب : ١١٨/٤
٣٩- التكملة : ٣١٩
٤٠- الكتاب : ٨٤/٤
٤١- شذا العرف في فن الصرف : ٢٠٤
٤٢- ابن يعيش : ٢٩٣/٣
٤٣- همع الهوامع : ٣١٨/٣
٤٤- المقتضب : ٢٠٨/٢
٤٥- الكتاب : ٦٧/٤
٤٦- المخصص : ١١٥/٤
٤٧- الكتاب : ٥٣/٤
٤٨- المقتضب : ٢٠٧/٢
٤٩- شذا العرف في فن الصرف : ٢٠٢
٥٠- الكتاب : ٨١/٤
٥١- النحو الوافي : ٥٨٠/٤
٥٢- سورة النحل :٦٦
٥٣- شرح ديوان رؤبة بن العجاج :١٠٤
٥٤- ينظر البحر المحيط :٧/ ٢٥٥
٥٥- ينظر الجواهر الحسان في تفسير القران : ٣٤٥/٢.
٥٦- ديوان جرير :٢٢٥
٥٧- ينظر الجواهر الحسان في تفسير القران : ٣٤٥/٢.
٥٨- ينظر خزانة الادب: ٤٠٨/١.
٥٩- سورة الاعراف: ١٦١.
٦٠- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة: ١٥٢/١
٦١- البحر المحيط :٤٧٤/٥
٦٢- ينظر الالوسي ،٤٠١/٦.

٦٣- سورة البقرة :٥٨

٦٤- ينظر معجم القراءات : ١٠٧/١.

٦٥- ينظر درة التنزيل وغرة التأويل : ١/ ١٤

٦٦- الالوسي :٣٢٨/١

٦٧- الحجة في القراءات السبعة : ٨٠

٦٨- ينظر التحرير والتنوير: ١/ ٣٠٨

٦٩- سورة الأعراف : ١١٦

٧٠- البحر المحيط : ٤١٨/٥

٧١- ديوان الاعشى الكبير : ٢٢٥

٧٢- ينظر التحرير والتنوير :٤١٣/٥.

٧٣-ينظر لباب التأويل في معاني التنزيل : ٧٦/٣

٧٤- ينظر الالوسي :٢١٠/٢١

٧٥- سورة الحاقة :١٧

٧٦- جامع البيان في تأويل القرآن ، ٥٧٣/٢٣

٧٧- ينظر التحرير والتنوير:٢٧٦/١٥

٧٨- سورة ص : ٢٣

٧٩- ينظر أدب الكاتب : ٢٤٩

٨٠- ديوان حسان بن ثابت : ٢١٩

٨١- ديوان النابغة الذبياني : ٣٢

٨٢- سورة لقمان : ٢٧

٨٣- الكشاف : ٢٨٦/٥

٨٤- البيضاوي : ٢٣٠/٢

٨٥- ينظر البحر المحيط : ١١٠/٩ ٢٨٦

٨٦- سورة يوسف : ٤٧

٨٧- ينظر البحر المحيط : ٢٨/٧

٨٨- سورة الحجر : ٤٥

٨٩- ينظر فتح القدير : ١٨٢/٤. وينظر النشر في القرآآت العشر٤٥٦/٥

٩٠- سورة الشعراء :١٣٤،١٣٣
٩١- التحرير والتنوير :٢٠٠/١٠
٩٢- سورة القمر :١٢
٩٣- ينظر البحر المحيط :١٧٤/١٠
٩٤- سورة الزخرف :٧١
٩٥- ينظر التحرير والتنوير :٢٤٥/١٣
٩٦- ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم :٢٨٣/٢
٩٧- الخصائص :٥/١
٩٨ - البحر المحيط :٤٩٩/٤
٩٩ - سورة الأحزاب :٥١